ولمّا كانت الترجمة تلعب دوراً كبيراً في خروج الثقافات من حدودها القومية، واضفاء النزعة العالمية عليها، فقد ساهمت في خروج الثقافة الفلسطينية من إطار اللغة التي كتبت بها، الى ثقافات اللغات الاخرى؛ وفي دخول العديد من الثقافات الاخرى الى الثقافة الفلسطينية. وهذه ظاهرة عامة بين الثقافات في عصور معيّنة، تطلبتها الثقافة المتأثرة، بسبب عوامل خاصة تدفعها الى الخروج من حدودها القومية، إمّا للتأثير في الثقافات الاخرى، أو نشداناً لما هو جديد مفيد تتغذّى به وتهضمه. وأدّت هذه الظاهرة الى عالمية الثقافة أو الفكر أو الادب، ووقفت في مقدم العوامل المباشرة التي ساهمت في تطوّر الحياة الادبية والثقافية والفكرية في فلسطين، كما أعانت على فتح النوافذ غير العربية على الأدب الفلسطيني بعد الحرب العالمية الاولى، فظهر عدد كبير من المؤلفات والدواوين الشعرية والترجمات الادبية، ونحا هذا الادب نحو العالمية، ضمن شخصيته المستقلة، وطابعه العربي العام. وكان الباعث الاولى للتجمة، هو الحرص على توفير عوامل النهوض للثقافة الفلسطينية، لئلا تقف معزولة متخلفة عن أداء رسالتها.

بدأت الترجمة في فلسطين منذ فترة مبكرة، واقتصرت، في بادىء الامر، على الكتب الدينية، واتخذت طابعاً فردياً غير منظم، ولكنها اتسعت في ما بعد، وشملت جميع جوانب العلم والمعرفة. وقام العديد من المترجمين بنقل روائع الاعمال الادبية الغربية الى العربية. وعملت هذه الترجمات على تطويع اللغة العربية، واغنائها بأساليب التعبير عن التجارب العصرية الحديثة، وبثروة طائلة من المعاني الجديدة والمباني اللغوية الحديثة، وساعدت على اشاعة السهولة والرشاقة في أساليبها، بعد ان أُهمل شأنها في العصر العثماني ولم يعد يهتم بها الاّ نفر من علماء الدين.

واسهم الفلسطينيون بنصيب كبير في الترجمة منذ وقت مبكر من النهضة المعاصرة. فقد ظهر عدد من المترجمين الذين تعمّقوا في درس أدبهم ووقفوا على دقائقه، فقاموا بنقل ما يتطلعون الى اقتباسه من معان وأجناس أدبية وتيارات فكرية لا بدّ منها في اكمال ثقافتهم العصرية ونهضة أدبهم القومي. وقد بدأوا نشاطهم في هذا الميدان، منذ العام ١٨٦٠، ومن بين الترجمات ما قام به يوسف دباس اليافي الذي ترجم كتاب «مرشد الاولاد» لـ «فرنسيسكو سوافيراس»[٢]. وأخذ هذا النشاط يتقدّم بتقدّم المجتمع في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، على الرغم من المعوقات الاستعمارية وغيرها. فعرّب بندلي صليبا الجوزي كتاب «الاموة عند العرب» عن اللغة الألمانية، وطبعه في قازان العام ١٩٠٢. ونشأ في فلسطين مناخ ملائم للترجمة، حين أخذت الصحف والمجلات العربية فيها بالظهور، وباشرت بنشر ترجمات لكبار كتاب الغرب، ووفّرت، بذلك، للقارىء العربي الفلسطيني صورة واضحة عن الأدب الاوروبي الحديث والحياة الغربية. وكان القسم الاكبر من الكتب المنشورة في النصف الاول من هذا القرن من الكتب المترجمة. كما كانت المدارس الارسالية المنتشرة في مدن فلسطين منذ منتصف القرن التاسع عشر، وبخاصة المدارس الارسالية لروسيا القيصرية والارساليات الكاثوليكية والبروتستانتية قد ساهمت في تعليم اللغات الاجنبية، كما ساهم في ذلك أيضاً ارسال البعثات التعليمية من أبناء فلسطين لمتابعة دراساتهم العليا. وهكذا نشأت طائفة من أبناء فلسطين تحسن اللغات الروسية والفرنسية والانكليزية والالمانية، وتتصل بالثقافة والآداب الاوروبيين.

وتعد ترجمة الآثار الادبية من أهمّ موضوعات الترجمة، لأنها تتبوأ المكان الأعلى في الحياة الثقافية والتراث الادبي لكل أمة، ولذلك لا بدّ لمن يتصدى لترجمتها ان يكون على علم بأصول العلم الذي ينقله، وبمصطلحاته في اللغتين المنقول عنها والمنقول اليها، اضافة الى القدرة على تحديد طبيعة المظاهر التي تعود الى شخصية المؤلف وعبقريته وذوقه ومزاج عصره وقومه، والمظاهر التي تخص النص الاصلي وخصائصه التركيبية والتراثية. ولذلك كانت ترجمة الآثار الادبية أهمّ وأوسع